لكن الأغلب في ظننا صعوبة القطع، في مواضع كثيرة، ونادراً ما يتفق لغويون ينطلق كلٌّ منهم من منطلقات ذاتية مباينة لمنطلقات الآخر.

وثمة مواضع يجب علينا فيها أن نقطع بأمرٍ ما، وعندئذ يهبنا السياق مفاتحه عن سعةٍ وسخاء..

ولدينا آية النساء، التي أشكلت في التفسير وذكرها ابن قتيبة في كتابه، وجذبتنا إلى بحث هذا الثنائي اللفظي، غني الدلالة كثير الاستعمال.

وتتمثل في الآية الحالتان اللتان تواجهان اللغوي في محاولاته قراءة علامات اللغة وإشارات السياق؛ عدم إمكان القطع، وحتمية القطع، ولنقرأ سياق اللفظين مرةً أخرى:

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريقٌ منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشدَّ خشية وقالوا ربنا لمَ كتبت علينا القتالَ لولا أخرتنا إلى أجلٍ قريب قُل متاع الدنيا قليل والآخرة خيرٌ لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً. أينما تكونوا يدرككّم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدة وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا. ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً﴾[1].

فأما ما يفرض علينا أن نسعى وراء النص باحثين عن إشارات تمكننا من تخصيص دلالة أحد الثنائيين في هذا السياق، فهو ما يبدو للنظر السطحي تعارضًا بين معنيي الآيتين، إذ يفهم من قوله أولاً: **﴿قل كلٌّ من عند الله﴾** ثم إتباعه بـ **﴿ما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** فكيف لم تدخل السيئة ـ وهي جزء ـ في الكل؟

قال ابن قتيبة: «الحسنة ههنا، الخصب والمطر، يقول: إن أصابهم خصب وغيث قالوا: هذا من عند الله.

والسيئة: الجدب والقحط. يقول: وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك. أي بشؤمك، يقول الله تعالى: **﴿قل كلٌّ من عند الله﴾**»[2].

وعجيبٌ تفسير ابن قتيبة الحسنة بالخصب والسيئة بالجدب، في سياق يبدأ الحديث

(١) النساء: ٧٧ ـ ٧٩.
(٢) المشكل، ص٣٩١، ٣٩٢.